أهم الوسائل العلاجية لظاهرتي الغلو والتطرف

د. نصر سلمان

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

إن الغلو والتطرف يمثلان مجاوزة الحدّ، الذي حدّده الشرع، ليلتزم به المكلّف، قال تعالى: ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾[1].

فهذا الخطاب موجه للنصارى الذين قالوا على الله غير الحق، وذلك بمخالفتهم كتابهم بالإفراط، والغلو، وذلك بقولهم أشياء يزعمون أنها من دينهم، إذ جعلوا عيسى عليه السلام إلها، وقد دفعهم لذلك غلوّهم في الاعتقاد بما يتعلق به عليه الصلاة والسلام، فبيّن لهم الله تعالى في هذه الآية صفات ثلاث للمسيح هي: صفة الرسالة، وكلمة الله ألقيت إلى مريم، وكونه روحا من عنده تعالى، وأنّ ما زاد على هذه الصفات يعدّ خروجا منهم عن حدود الدين، وغلوّا فيه وبالتالي يعدّ باطلا، مردودا[2].

قال الدكتور محمد الشريف الرحموني: "وإذا كان النهي عن الغلوّ في الدين موجها ـــ في هذه الآية ـــ إلى النصارى لما جرّه عليهم من بلايا، فإنّ فيه عبرة واعتبارا للمسلمين: فهم أولى بالانتهاء عن الغلو من غيرهم، وأحق بهذا الخطاب ممن سواهم، حيث إنّ دينهم دين الرحمة، واليسر والعدل، والاعتدال يضع كل شيء موضعه، ويترل الناس منازلهم، فلا إفراط، ولا تفريط، ولا تقتير، ولا تبذير، ولا منّ، ولا سرف، ولا وكس، ولا شطط"[3].

كما أنّ الناظر في نصوص السنة النبوية الشريفة يرى فيها كمّا هائلا من الأحاديث الدالة عن النهي عن الغلو والتطرف اللذين يوقعان في الحرج، والمشقة، ومن ذلك ما رواه

---

1 - النساء: 171.

2 - محمد الشريف الرحموني: الرخص الفقهية من القرآن والسنة النبوية ص 160.

3 - المرجع نفسه، ص 161.

سعد بن أبي وقاص ـــ رضي الله عنه ـــ قال "لما كان من أمر عثمان بن مظعون، الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فقال: "يا عثمان إنّي لم أومر بالرّهبانية، أرغبت عن سنتي؟"، قال: لا يا رسول الله، قال: "إنّ من سنتي أن أصلّي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي، فليس مني، يا عثمان إنّ لأهلك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا"، قال سعد: فو لله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أنّ رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إن هو أقرّ عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتّل"[1].

هذا نموذج من السنة النبوية الشريفة نبهنا به على غيره من النصوص الكثيرة، التي تملأ كتب السنة، والتي جاءت ناهية عن الغلو، الذي ينافي الفطر السليمة، ويخرج صاحبه من الوسطية، والاعتدال، إلى إيقاع نفسه في الحرج والضيق، والتطرف والغلو، هذه الأشياء التي يضرّ بها نفسه، قبل الإضرار بالآخرين، إذ بغلوّه يحرج نفسه وذلك بمنعها عمّا أحلّ الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾**[2].

بعد هذه المقدمة الموجزة التي توضح نهي الإسلام عن الغلو والتطرف، وتبين أن المسلمين أولى من غيرهم في تركهما، والابتعاد عن الوقوع في شراكهما، نودّ طرح مجموعة من النقاط التي نحسب أنها من الوسائل الفعّالة في علاج ظاهرتي الغلو والتطرف التي غزت المجتمعات العربية والإسلامية، وجرت عليها كثيرا من الآلام والويلات.

وسنتناول هذه الوسائل عبر النقاط الآتية:

أولا ـــ بث ثقافة التيسير ورفع الحرج عن الناس من قبل الدعاة ومتصدري الفتوى: إنّ من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية الغرّاء، وأهدافها السامية، هو الرفق بالناس، وذلك بدرء المفاسد عنهم، وجلب المصالح لهم، ولا شكّ أنّ درء الحرج والضيق عنهم من أعظم هذه المقاصد، وأجلها، وذلك لتماشيه مع روح الدين الإسلامي الحنيف، الذي يقوم على التيسير، والسهولة، ونفي المشقّة، والعنت، والإثم، والجناح.

---

1 - الدارمي: السنن، كتاب النكاح ، باب: النهي عن التبتل 2 / 178 – 179.

2 - الأعراف: 32.

إذ المتصفح لكتاب الله عز وجل يجد فيه كما هائلا من النصوص الدالة على التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، ونبذ الغلو والتشدد ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رحمة الله بعباده ومنه وكرمه عليهم، بأن رفع عنهم إصر المشاق وأغلال التعسير والغلو والتطرف في آيات كثيرة، نحاول اجتزاء بعض منها، وإيراده على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك على النحو الآتي:

1 - **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**[1].

2 - **﴿ إنّ مع العسر يسرا إنّ مع العسر يسرا ﴾**[2].

بعد نزول هذه الآية خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو مسرور يضحك وهو يقول: "لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين إنّ مع العسر يسرا".

قال الجصاص معلقا: "يعني أن العسر المذكور بديا هو المثنى به آخر لأنه معرّف بالألف واللاّم، فيرجع إلى المعهود المذكور، واليسر الثاني غير الأول، لأنه منكور، ولو أراد الأوّل لعرّفه بالألف واللاّم"[3].

3 - **﴿لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها﴾**[4].

4 - **﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفا﴾**[5].

5 - **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون﴾**[6].

6 - **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم﴾**[7].

إنّ الناظر في جلّ كتب السنّة النبوية الشريفة، يرى أنّ أصحابها عقدوا فيها أبوابا عديدة، ضمّنوها تلك السنن الحائة على التيسير، ورفع الحرج، ودفع المشاق، سواء تعلق

---

1 - البقرة: 185.
2 - الشرح: 5 – 6.
3 - الجصاص: أحكام القرآن 3 / 473.
4 - البقرة: 286.
5 - النساء: 28.
6 - المائدة: 6.
7 - الحج: 78.

الأمر بجانب العبادات أو المعاملات بمفهومها الواسع، وسنورد جملة من هذه السنن الكثيرة، للتنبيه بها على غيرها وللتدليل بها على سماحة الإسلام ويسره، وذلك على النحو الآتي:

1) عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلاّ غلبه، فسدّدوا وقاربوا، واستعينوا بالغدوة[1] والرّوحة[2] وشيء من الدّلجة[3]"[4].

قال ابن المنير: "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أنّ كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كلّه، يغالب النوم، إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس، فخرج وقت الفريضة، وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد: "إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير دينكم اليسر". وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإنّ الأخذ بالعزيمة في موضوع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء، فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر"[5].

2) عن عائشة زوج النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنها قالت: ما خُيّر رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لنفسه، إلاّ أن تنتهك حرمة الله "عز وجل"[6].

---

1 - الغدوة بالفتح سير أول النهار، والمقصود استعينوا على أداء العبادة ومداومتها بإيقاعها في الأوقات المنشطة كالغداة. انظر فتح الباري 1 / 95.

2 - الروحة بالفتح السير بعد الزوال

3 - الدلجة: بضم أوله وفتحه وإسكان اللام السير آخر الليل، والمقصود إيقاع العبادة في هذه الأوقات.

4 - البخاري كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة". 1 / 93.

5 - ابن حجر: فتح الباري. 94/1 ـــ 95.

6 - مسلم. كتاب الفضائل باب: "مباعدته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للآثام، واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته". 1813/4.

3) عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند الجمرة، وهو يسأل، فقال رجل: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي، قال: "ارم ولا حرج" قال آخر: يا رسول الله: حلقت قبل أن أنحر، قال: "انحر ولا حرج" قال: فما سئل عن شيء قدّم ولا أخّر إلا قال: "افعل ولا حرج" [1].

بيّن الحديث أنّ من قدّم عملا من هذه الأعمال على الآخر لا إثم عليه، ولا دم، وذلك رفعا للحرج. **قال القرطبي**: "روي عن عباس: ولم يثبت عنه أنّ من قدّم شيئا على شيء فعليه دم" وبه قال سعيد بن جبير وقتاده والحسن، والشافعي، وجمهور السلف، والعلماء، وفقهاء أصحاب الحديث، وذلك استنادا لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "لا حرج" فهو ظاهر في رفع الإثم والفدية معا، لأنّ اسم الضيق يشملهما، كما قال الطحاوي: " ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الأشياء على بعض"[2].

4) عن أنس بن مالك عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "إنّي لأدخل في الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبيّ، فأتجوّز ممّا أعلم من شدّة وجد أمه من بكائه"[3].

5) عن عروة أنّ عائشة ــ رضي الله عنها ــ أخبرته أنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلى، فصلوا معه، فأصبح الناس، فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فصُلّي بصلاته، فلمّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج، حتى خرج لصلاة الصبح، فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد ثمّ قال: أمّا بعد فإنه لم يخف عليّ

---

1 - الدارمي. كتاب المناسك، باب: "فيمن قدّم نسكه شيئا قبل شيء". 89/2 ــ 90.
وهو في البخاري، كتاب الحج، باب: "الفتيا على الدابة". 569/3. ومسلم. كتاب الحج، باب: "من حلق قبل النحر". 948/2. وأبــو داود كتاب المناسك، باب: "فيمن قدم شيئا قبل شيء في صحبة". 211/2. والترمذي، كتاب الحج، بــاب: "ما جاء فيمن حلق قبل أن يذبح". 358/3. وابن ماجه، كتاب المناسك، باب: "من قدّم نسكا قبل نسك" 2/ 1014، ومالك: الموطأ، كتاب الحج، باب: "جامع الحج". 421/1.

2 - ابن حجر: فتح الباري. 571/3.

3 - البخاري. كتاب الأذان، باب: "مَنْ أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي". 202/2.

مكانكم، ولكنّي خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها، فتوفي رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والأمر على ذلك.[1]

6) عن أبي موسى قال: كان رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا" وفي حديث أبي التياح قال سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: "يسروا ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفّروا" وفي رواية أبي بردة عن أبيه عن جده أنّ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بعثه ومعاذا إلى اليمن، فقال: "يسرا ولا تعسّرا، وبشرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا"[2].

7) عن جابر بن عبد الله أنّ معاذا كان يصلي مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثم يأتي قومه فيصلي بهم، فجاءت ذات ليلة فصلّى العتمة، وقرأ البقرة، فجاء رجل من الأنصار فصلّى، ثم ذهب، فبلغه أن معاذا ينال منه، فشكى ذلك إلى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لمعاذ: "فاتنا فاتنا أو فتّانا فتّانا فتّانا ثم أمره بسورتين من وسط المفصّل".[3]

ثانيا ـــ الاهتمام بمنصب الفتوى وثقافة المفتي:

"لا شك أن الفتوى منصب عظيم الأثر، بعيد الخطر، إذ المفتي قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم فهو نائب عنه في تبليغ الأحكام، وتعليم الأنام، وإنذارهم بها لعلهم يحذرون، وهو إلى جانب تبليغه عن صاحب الشريعة قائم مقامه في إنشاء الأحكام في المستنبط منها بحسب نظره واجتهاده، كما اعتبره الإمام ابن القيم موقعا عن رب العالمين، هذا وقد عرف السلف للفتوى كريم مقامها، وعظيم منزلتها، وأثرها، في دين الله وحياة الناس، فكانوا يتهيبون من إصدارها، ويتريثون في أمرها، ويعظمون من قال: "لا أدري" وقد كان

---

1 - الجامع الصحيح. كتاب صلاة التراويح، باب: " فضل من قام رمضان". 250/4 ـــ 251.

2 - مسلم. كتاب الجهاد والسير، باب: "في الأمر بالتيسير وترك التنفير".

3 - البخاري. كتاب الأذان، باب: "إذا طوّل الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلّى". 192/2. ومسلم كتاب الصلاة، باب: "القراءة في العشاء". 339/1 ـــ 340. والنسائي. كتاب الافتتاح، باب: "القراءة في العشاء الآخرة" بـ"سبح اسم ربك الأعلى" وباب: "القراءة في العشاء الآخرة بـ"والشمس وضحاها" والدارمي: كتاب الصلاة، باب: "قدر القراءة في العشاء" واللفظ له.

الصحابة –رضوان الله عليهم– مع ما رزقهم الله به من علم غزير، ونفاذ للبصيرة، وشرف للصحبة، كثيرا ما يتوقفون عن الفتوى، ولا يجيبون، بل إن الواحد منهم كان إذا سئل تكلم وإنه ليرعد"[1].

فإذا كانت مكانة الفتوى بهذه الخطورة فإنه ينبغي ألا يفسح المجال للمتفيقهين والمتنطعين وأشباه العلماء بتبوإ منصبها الجليل، فكم من الفتاوى المشحونة بالغلو والتطرف، والتي جرت على بعض البلدان آلاما وويلات، وذلك بتجويزها لتكفير المسلمين، وسفك دمائهم ، وهتك أعراضهم، وسلب أموالهم وممتلكاتهم بغير وجه حق. ولذا أرى لزاما أن يكون القائمون عليها يتصفون ببعض المواصفات التي تعصمهم من الانحراف والانزلاق في مطبات التطرف والغلو، والتي منها[2]:

1 ــ أن يكون المفتي حافظا لكتاب الله تعالى، ملمّا بأحكامه وإرشاداته، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، ومجمله ومفصله، ومنطوقه ومفهومه، حسن التلاوة له والفهم فيه.

2 ــ أن يكون حافظا لجملة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفا بأحاديث الأحكام محيطا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم مدركا لسنته، ملمّا بحياته والشبه التي يثيرها الأعداء حول شخصه الكريم، وسيرته العطرة، عارفا كيف يدفع هذه السفاسف، متأسّيا بقدوته المثلى وأخلاقه العليا وبالجملة أن يكون القائم على الفتوى صورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3 ــ أن يكون ملمّا بالتاريخ الإسلامي، فالتاريخ عبرة والأيام ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

4 ــ أن يلمّ بالقصص القرآني، قال تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾[3].

1- القرضاوي، الفتوى بين الماضي والحاضر، 25-28.
2 - محمد العوضي سلام: من الظلمات إلى النور ص 32 – 57.
3 - يوسف/111.

5 ـ **أن يكون حسن القدوة**: فما أقبح من ينصح الناس ويجيبهم عن فتاواهم ، وهو في حاجة إلى نصح، وما أجهل من يطب الناس وهو مريض وإليك ما قاله **أبو الأسود الدؤلي (رحمه الله)**:

هلا لـــنفـــسك كـــان ذا الـــتعليـــم يا أيها الرجل الـــمعلـــم غيـــره
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنـــا كيمـــا يصـــح به وأنت سقيـــم
ابدأ بـــنفـــسك فانهها عن غيّهـــــا فإذا انتـــهت فأنـــت حكيـــــم
وهـــناك يـــسمع ما تقول ويُشتفـــــى بالقول منـــك وينـــفع الـــتعليم
لا تنـــه عن خلق وتـــأتي مـــثلـــــه عـــار علـــيك إذا فعلت عـــظيم

وما أبشع صورة العالم الذي لا يعمل بعلمه، كما ورد في صحيحي البخاري ومسلم "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟، فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه". وصدق الشاعر العربي وهو يخاطب العلماء بقوله:

يا علماء الأمة يا ملح البلد ∴ من يصلح الملح إذا الملح فسد

6 ـ **أن يكون القائم على الفتوى حاضر البديهة**: إذ يمكنه الرد عن تساؤلات واستفسارات المستفتين من مخزونه ورصيده العلمي الذي تحصن به لأداء هذه الوظيفة التي ينبغي أن توكل للأذكياء والنابغين من أبناء هذه الأمة، ولنا في تاريخ سلفنا ما يؤيد ذلك، فهذا علي بن أبي طالب يفتي الناس وهو على المنبر في مسألة عالت في المواريث، إذ جاءته الزوجة تسأل عن ميراثها من زوجها الذي ترك أما وأبا وبنتين وزوجة، فقال الإمام علي رضي الله عنه مِنْ عَلَى المنبر "الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعا، ويجزي كل نفس بما تسعى، وإليه المآب والرجعى، وقد صار ثمن الزوجة تسعا" لأن المسألة تزاحمت فيها أنصبة أصحاب الفروض فعالت من الأربع والعشرين للسبع والعشرين وأصبحت تعرف عند

الفرضيين بالمنبرية لإفتاء علي رضي الله عنه فيها من على المنبر، ومن داخل مسجد الكوفة[1].

7 ــ أن يكون المتصدر للفتوى من ذوي الكفاءات القادرة على رد شبه الغالين والمتطرفين: بحيث يكون سريع الرد، قوي العارضة شديد المعارضة في الحق، ومثال ذلك ما وقع للإمام الشافعي (رحمه الله) أنه حضر درسه بجامع عمرو بن العاص رجل من خراسان فسأل الشافعيّ عن الإيمان، فقال له الشافعي: ما تقول أنت فيه؟ فقال الرجل: "الإيمان قول، فقال الشافعي من أين قلت بذلك؟ قال الرجل من قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[2] فصارت الواو فصلا بين الإيمان والعمل، فسأله الشافعي: أعندك الواو فصلا قال: نعم، قال الشافعي: إذن كنت تعبد إلهين إلها في المشرق، وإلها في المغرب، لأن الله تعالى يقول: ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾[3]. قال الرجل: سبحان الله أجعلتني وثنيا؟ قال الشافعي: بل أنت جعلت نفسك كذلك بزعمك أن الواو فصل[4].

كما ينبغي على من يتصدّر للفتوى أن يتحرّى الاعتدال في فتاواه وأن يتبع فيها طريق الدعاة لا طريق القضاة فيخرج الناس من دائرة الإسلام بفتاوى متطرفة يدعمها تنطع وغلوّ، ومن ذلك ما وقع لأبي حنيفة لّما قدم عليه جمع من الخوارج شاهرين سيوفهم قائلين: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين إن أجبت نجوت وإلاّ قتلناك، قال: أغمدوا سيوفكم فبرؤيتها ينشغل قلبي، قالوا: كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك، قال: سلوا إذن، قالوا: إحداهما رجل شرب الخمر فمات سكرانا، والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أهما مؤمنان أم كافران؟ فسألهما من أي فرقة كانا أمن اليهود؟ قالوا: لا، أمن النصارى؟ قالوا: لا، أمن المجوس؟ قالوا: لا، فممن كانوا؟ قالوا: من المسلمين، قال: أجبتم، قالوا: أهما في الجنة أم في النار؟ قال أقول فيهما ما قال الخليل ــ عليه السلام ــ فيمن هو شر منهمـــا ﴿**فمن تبعني فإنه مني ومن**

---

1 سعيد بويزري: أحكام الميراث بين الشريعة الإسلامية وقانون الأسرة الجزائري، ص 139.

2 - الكهف: 107.

3 - الرحمن/15.

4 - طوابه نور الدين: دور المسجد في المجتمع الإسلامي المعاصر. نقلا عن الشرقاوي: أئمة الفقه التسعة، ص 157-158.

عصاني فإنك غفور رحيم﴾[1]، أو كما قال عيسى ــ عليه السلام ــ **﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾**[2] فنكسوا الرؤوس وانصرفوا قائلين نبرأ إلى الله مما كنا فيه[3].

ثالثا ــ الاهتمام برسالة المسجد:

إنّ المتأمّل لكتاب الله تعالى يلحظ اهتمامه البالغ بالمسجد، إذ ورد ذكره فيه ستا وأربعين مرة[4]:

ومعلوم أنّ شيئا يتكرر ذكره هذه المرات كلها إلا دليل على أهمّيته ومكانته في حياة الأمم والأفراد وأن له دور القيادة والريادة في التوجيه والتعليم والإرشاد، هذا وإنّ الرائي والدارس لتاريخ المسجد في الإسلام يقرّ بالدور الرسالي الذي كانت تلعبه هذه المساجد في عصورنا الذهبية المجيدة.

ولا شك أن على عاتق المسجد مسؤولية ضخمة تنوء بحملها الجبال الراسيات في محاربة ظاهرتي الغلو والتطرف، وذلك عن طريق تنوير فئات المجتمع من خلال الخطب المنبرية ودروس الوعظ والإرشاد، وحلق العلم التي تقدم من خلالها الصورة الصحيحة للإسلام باعتباره دين الوسطية والاعتدال والرحمة ونبذ العنف والغلو والتطرف.

ومما يؤسف له أن ما نشاهده اليوم من غلو وتطرف في واقعنا المعيش يلقى على الخطاب المسجدي في بروزه جزء من المسؤولية، إذ لم يعد يؤدي رسالته كما كان يؤديها عبر تاريخ الإسلامي العطر.

ولقد وجدت نفسي وأنا أكتب هذه المداخلة أحاور المسجد قائلا[5]:

---

1 - إبراهيم/38.

2 - المائدة/120.

3 - طوابة: دور المسجد في المجتمع الإسلامي المعاصر، ب بحث ماجستير مخطوط بقسم الدوريات ــ جامعة الأمير عبد القادر، ص 103.

4 - محمد الداودي المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ص 9-50 فتأمّله فإنه نفيس.

5 - هذه الأبيات لصاحب هذه المداخلة الدكتور: نصر سلمان.

يا مسجدي يا موطن الضيـــــاء ومنبع الوصـــــال والإخـــــــاء
ومسكن الغريب في تاريخنـــــــا ومجمع العلـــــوم والنقـــــــاء
جيوشنا من مسجدي قد خرجت وحطمت معاقـــل الأعـــــداء
علـــى حصائـــرٍ لمسجـــــــدي قد أُرسيت دعائـــــم القضـــــاء
وشُيِّدت بساجكـــــم مجالـــس للذكر والعلـــــوم والإفتـــــاء
قد جئتُ يا مسجدنا لبابكـــــم مفتّشا عن هـــذه الأشيـــــــاء
لم ألقها فقلـــت يـــا إلهنـــــا فما الذي دهى حظيرة السمـــــاء
وما الذي أفرغها من روحهـــــا وما الذي أرجعها حجارة جوفـــاء
وما الذي جرّدها من دورهـــــا وما الذي أخرجها من عالم الأحياء
ولم تجد أسئلتـــــي إجابـــــــة إلى نطقت صخورهـــا الصـــمّـــاء
قائلة أحرجتـــنـــي بسؤلكـــــم رسالتي قد عقّها الأبنـــــــــاء
بساحتي تقاتلـــوا تطاحنـــــــوا وغيرهم قد جاوز الجـــــــوزاء
وقزّمت رسالتي وأـــهملـــــــت مبادئي شراذمٌ دهـــمـــــــــاء
وبعدما حـــاورنـــي وردّ عـــــن أسئلتي أجهشتُ بالـــبكـــــــاء
ثم انصرفتُ مرغـــــداً ومزبـــداً مردّداً سيرجع الـــضيـــــــــاء

رابعا ــ احترام التخصص: لو بحثنا في أسباب التطرف والغلو لوجدنا من أهمها وأبرزها عدم احترام التخصص، "إذ لكل علم أهله، ولكل فن رجاله، فكما لا يجوز للمهندس أن يفتي في أمور الطب، ولا الطبيب أن يفتي في شؤون القانون، بل لا يجوز لطبيب مختص في فرع معين أن يقتحم حمى فرع آخر، فكذلك لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلأً مباحا لكل من هب ودرج من الناس، بدعوى أن الإسلام ليس حكرا على فئة من الناس"، وهذه كلمة حق أريد بها باطل، فكم نتج عن إدخال عدم المتخصصين أنوفهم في مسائل الشريعة من مآس وويلات، وتناحر وتطاحن، غلو وتطرف في الأحكام الصادرة عن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقد عاب أسلافنا من العلماء العاملين

على بعض من يتهافتون على الفتوى دون علم وتثبت وروية كافية، وكان مما قالوه في ذلك: "إن أحدهم يفتي في المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر"[1].

ولذا ينبغي احترام التخصص لتكون الأحكام صادرة عن علم وبصيرة لا عن جهل وهوى، وبهذا يتم القضاء عن الأحكام المتطرفة التي غالبا ما كانت سببا في فساد العباد والبلاد.

خامسا ـ القيام بحملات توعية: واسعة النطاق عبر جميع وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمكتوبة قصد تعريف الناس بمخاطر الغلو والتطرف على الفرد والمجتمع والممتلكات والأموال والأرواح، تكون مقرونة ببيان محاسن الوسطية والتيسير والاعتدال.

سادسا ـ التشبع بثقافة أدب الاختلاف: إذ ينبغي أن يتأصل في النفوس احترام الرأي والرأي المخالف، بحيث تتجذر ثقافة أدب الاختلاف في الأذهان، فلا يكون الاختلاف مدعاة للغلو والتطرف في حق المخالف، وذلك بتكفيره، أو التشهير به، أو نعته بأبشع النعوت، وأسوئها.

ولنعد إلى تاريخنا الإسلامي المجيد لنجتزىء منه بعض الشذرات العطرة من التشبع بثقافة أدب الاختلاف لدى الصحابة رضي الله عنهم، وإليك بعضها[2].

فهذا ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ كان يرى أن الجد يتزل منزلة الأب ويسقط جميع الإخوة والأخوات في الميراث مخالفا في ذلك زيد بن ثابت الذي يرى توريث الإخوة معه، ولا يحجبون به، حتى قال ابن عباس يوما: "ألا يتقي الله زيد، يجعل ابن الابن ابنا، ولا يجعل أب، الأب أبا، وقال: "لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع، فنضع أيدينا على الركن، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".

فابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ الذي بلغت ثقته بصحة اجتهاده وخطإ اجتهاد زيد هذا الحد الذي رأيناه، رأى زيد بن ثابت يوما يركب دابته، فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنحّ يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج ابن عباس يده ، فقبلها زيد ، وقال:

---

1 يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 203 – 204.

2 - طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام ص 67 – 68.

هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، وحين توفي زيد قال ابن عباس: هكذا ذهاب العلم ، لقد دفن اليوم علم كثير.

وهذا عمران بن طلحة الذي كان في الصف المناوىء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يدخل عليه بعد الفراغ من معركة الجمل فيرحب به ويدنيه ويقول: "إني لأرجو أن يجعلني الله وإياك من الذين قال **الله عز وجل فيهم: ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾**[1] ثم أخذ يسأله عن أهل بيته فردا فردا وعن غلمانه وأمهات أولاده[2]

سابعا ــ عدم مقابلة التطرف بالتطرف: إذ لا ينبغي مواجهة التطرف الفكري بتطرف فكري مماثل لأننا لو فعلنا ذلك لوقعنا في نفس الهاوية التي وقعوا فيها، حيث نزيدهم بتطرفنا عنادا وإصرارا على غلوهم[3]، ولنا في أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أسوة حسنة في موقفه من أهل الجمل الذين قاتلوه حين سئل عنهم أمشركون هم ؟ فيقول رضي الله عنه: "من الشرك فروا".

قال: أمنافقون هم ؟ فيقول رضي الله عنه: "إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا". فيقال: فمن هم إذن ؟، فيقول: "إخواننا بغوا علينا"[4].

ثامنا ــ إصلاح البرامج والمناهج التعليمية: وهنا تبرز مكانة المدرسة ببرامجها ومناهجها في إخراج الفرد السوي، الذي يقدر لرجله قبل الخطو موضعها، والذي يزن الأمور بميزان الحق والعدل والمصلحة، لا بميزان التطرف والغلو.

ولذا ينبغي أن تكون البرامج المدرسية، لاسيما في مناهج التربية الإسلامية، والمدنية، والتاريخ، والأدب مشبعة بمبادىء التسامح، وقيم التآخي والسلام، ونبذ العنف والتطرف والغلو، حتى تنشأ ناشئتنا على هذه المبادىء السمحة التي تعصمها من الوقوع في مطبات هذه الظاهرة الغريبة عن مجتمعاتنا وقيمنا الأصيلة.

---

1 - الحجر: 47.

2 - طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام ص 69.

3 - يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 147.

4 - البيهقي: السنن الكبرى 8 / 173.

تاسعا ــ **عدم الاستعجال في إقامة الناس على الحق**: إذ ينبغي إقامتهم عليه بالتدرج شيئا فشيئا، حتى لا يؤدي ذلك إلى نفورهم منه وتطرفهم في تركه جملة وتفصيلا، ومن أحسن الأمثلة على ذلك أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءه أحد أبنائه منتقدا قائلا له: "ما لك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ". قال عمر رضي الله عنه: " لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر مرتين وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة "ثم قال: "والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا، ستلين به قلوبهم، خوفا من أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به"[1].

عاشرا ــ الحفاظ على وحدة المسلمين وتجنب المعارك الطاحنة بسبب الخلافات الفقهية: ومن المواقف العملية في ذلك أن أحد العلماء زار إحدى القرى لإلقاء محاضرة بها في رمضان، فوجد أهل القرية قد انقسموا إلى فريقين يختصمان حول صلاة التراويح، أهي عشرون ركعة كما صليت في عهد عمر ، وتوارثها الناس على مر القرون بعد ذلك، أم هي ثماني ركعات فقط، كما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا يزيد على ذلك في رمضان ولا غيره ؟ رأيان تعصب لكل منهما فريق من أهل البلدة حتى كادا يقتتلان وكل يدعي أنه على الحق والسنة، وأن الآخر على خطأ وبدعة، فلما عرفوا أن هذا العالم قادم إليهم، رضوا أن يحتكموا إليه فيما اختلفوا فيه، وكل فئة تحسب أنه سيحكم لها ضد الأخرى ولكن ذلك العالم اتجه بهم وجهة أخرى.

فقال: ما حكم صلاة التراويح ؟

قالوا: سنة، يثاب من فعلها، ولا يعاقب من تركها.

قال: وما حكم الأخوة بين المسلمين ؟

قالوا: فريضة دينية، ودعامة من دعائم الإيمان.

قال: وهل يجوز في شرع الله أن نضيع فريضة للمحافظة على سنة ؟

---

1 - الطيب برغوث: الواقعية في الدعوة إلى الإسلام ــ ضرورتها السبيل إليها ــ ص52.

إنكم لو أبقيتم على أخوتكم ووحدتكم ، وانصرفتم إلى بيوتكم، ليصلي كل منكم في بيته ما ترجح له واطمأن إلى دليله: ثماني ركعات، أو عشرين، لكان خيرا من أن تختصموا وتقتتلوا[1].

حادي عشر ــ التوجه لمحاربة العدو الحقيقي: الأولى بالمسلمين ألا ينشغلوا بمعارك هامشية فيما بينهم، وذلك باستخدامهم لمعول الهدم المتمثل في التطرف والغلو، فيرمي بعضهم بعضا بالكفر تارة، وبالفسوق تارة أخرى، وبإصدار فتاوى غريبة عن سماحة ديننا الحنيف مرة ثالثة، وكان الأولى بهم أن يسخروا ذلك لكشف مخططات عدوهم، وفضح مؤامراته، والتحذير من سمومه وآفاته، لا أن يوجهوا سيوف أفكارهم، وحناجر ألسنتهم، لتغرز في صدور إخوانهم، وهم يجرون وراء عدوهم مقتفين آثاره شبرا بشبر وذراعا بذراع.

وصدق الشاعر مروان كُجُك حين يقول تحت عنوان درب الهوان[2]:

لم يبق إلا أن نقـــو ل بأنـــهم أهـــل الصّـــواب
وبأن يعرب معتـــد والـــمسلـــمون بلا كتـــاب
وبأنهم أهـــل التقى والعدل واللـــطف الـــمذاب
وبأنهم خـــلقوا لند فعهم إلى عـــليا السحـــاب
نمضي نبارك خطوهم في كـــل زاويـــــة وبـــاب
ونلوذ بالبـــغي الذي زرعوه في شتى الـــهضـــاب
ونشيدنا عاش اليهـــو د على الأباطح والـــروابـــي
فالأرض أرضهم ونحـــ ن زوائد تـــحت الحســـاب
يمشي بنـــا درب الهـــوا ن يقودنا نـــحو الـــخراب
لا شيء يردعه ســـوى سيْـــف يمانـــي الإهـــاب
يفري فرى الماضين يمـــ حق كل مـــجترىء وصابي
ويقـــود أمتنا لنـــصـــ ر اللـــه من بـــاب لبـــاب

1 - يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 169 – 170.
2 - مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن العدد: 121، ص 104.

وفي الختام: نحسب أننا أمطنا اللثام عن بعض الوسائل والسبل الكفيلة بمعالجة ظاهرتي الغلو والتطرف من خلال النقاط المطروقة آنفا، سائلا المولى عز وجل أن يطهر البلاد العربية والإسلامية من هذه الآفات التي تنخر كيانها وتفت عضدها، وتجعلها عرضة للتفكك والتشرذم إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.